مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد07 / العـــدد: 03(2023)، ص07-23

قصر تاغيت دراسة أثرية معمارية

Ksar Taghit, an archaeological architectural study

نغلي ابراهيم*
جامعة حسيبة بن بوعلي شلف الجزائر
i.neghli@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 29/01/2023 تاريخ القبول: 26/02/2023

الملخص:

إن الأنماط المعمارية على مر العصور كانت دائما انعكاسا صادقا لتطور البيئة الحضارية التي كانت تسود كل مرحلة من المراحل التاريخية لدى أي شعب من الشعوب مهما كان محيطها البيئي سواء في المنطقة المعتدلة، أو في المنطقة ذات المناخ الجاف المتميز بالتغير على المدى القصير أي اليومي، حيث ساعدت البيئة الصحراوية الحارة بظروفها الطبيعية والاجتماعية على إيجاد نمط عمراني معين يتلاءم معها، إذ عمل الإنسان على جعل مسكنه وحيه ومدينته يتوفر على عامل الحماية من الظروف الطبيعية القاسية والاجتماعية، ونظرا للعفوية والتلقائية التي عمدها الإنسان أو الفرد الصحراوي في بناء مسكنه بالدرجة الأولى ومدينته لتعدد المساكن جعلتها تنفرد بخصائص ومميزات عمرانية جعل منها نمطا مميزا وخاصا يعبر عن تأقلم الإنسان مع أصعب الظروف الطبيعية والمتمثلة في الحرارة والرياح المحملة بحبيبات الرمل " الزوابع الرملية "، إذ عمل على جعل مبانيه ملتحمة وشبه ملتحمة في نسيج عمراني متناسق، ومن خلال هذه الدراسة سنحاول التعريف بقصر تاغيت .

كلمات مفتاحية: تاغيت، قصر، بشار، عمارة.

Abstract: Buildingstyles throughout the ages have always been a truereflection of the development of the civilizedenvironmentalthatprevailed at everyhistorical stages of any people, whatever their ecologicalsurroundings, whether in the temperateregion, or in the region with a dry climatecharacterized by short-term change ordaily. In which the hot desertenvironment with its natural and social conditions helped to create a certain urban pattern thatsuitsit, as man worked to makehisdwelling, neighborhood and city a factor of protection from harsh and social natural conditions.Due to the spontaneitythat man or the desertindividualbaptized in the construction of hishome in the first place and his city for the multiplicity of dwellings, it made it unique with urbancharacteristics and featuresthat made it a distinctive and special pattern that expresses the human adaptation to the mostdifficultnatural conditions representedin theheat and windloaded with grains of sand "sandstorms", as heworked to makehis buildings conjunctival and semi-fused in a harmoniousurbanfabric, and throughthis study wewilltry to introduce the Taghit Palace.

Key words : Taghit, Palace, Bechar, Building

*نغلي ابراهيم

تعد منطقة بشار أرضا بكرا ومجالا خصبا للباحثين الأثريين لما احتوته من تنوع في القصور، إذ نجد بها أكثر من تسعة قصور منتشرة في نواح عدة من ربوع المنطقة ومن أشهرها نذكر : (قصر قنادسة، وموغل، وبوكايس، وقصر بشار، وتاغيت، وبني عباس، وكرزاز ومازر ببلدية اقلي، وبربي ببلدية تاغيت)، كما تعتبر القصور الصحراوية التي تزخر بها منطقة بشار إرثا حضاريا يمثل جزءا من تاريخ الجزائر عامة والمنطقة خاصة، إذ أنها تشهد على فترات تاريخية مختلفة وطراز معماري متنوع، أنشئ بمواد بنائية محلية، ورغم ذلك لا يزال البعض منها قائما ومحافظا على جل أجزائه مثل ما نجده بقصر تاغيت رغم الزيادات التي تعرض لها من طرف السكان بإدخال عناصر جديدة مكان عناصر أصلية، إلا أنه بقيا محافظة على نمطه العمراني وشكله العام، وقصور أخرى تكاد تزول نهائيا مثل قصر مازر الذي يعاني من الهدم، هذا القصر الذي كان في فترة سابقة شاهدا على مجتمع وحضارة كانت قائمة بذلك القصر، هذا النمط العمراني وأسلوب البناء والتشكيل الهندسي لعمارة قصر تاغيت، ارتبطت كلها بالحياة الثقافية للسكان، وقدرتهم على تصور النموذج الذي يريدونه لتلبية حاجياتهم الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، ومن خلال هذا ماهي الخصائص المعمارية التي تميز قصر تاغيت ؟

2.الموقع:

تقع مدينة تاغيت على بعد 960 كم جنوب غرب العاصمة وعلى بعد 95كم شرق ولاية بشار، تقع بين خطي عرض 30°-55° شمالا وخطي الطول 2°-01° غربا، يحدها من الشمال بلدية بشار ومن الجنوب بلدية اقلي وبني عباس ومن الشرق العرق الغربي الكبير ومن الغرب بلدية العبادلة، تتربع على مساحة تقد 8040 كم^2، كما يبلغ عدد سكانها سفبعة ألاف نسمة بكثافة 0,8 % متكونة من ستة تجمعات سكانية هي الزاوية الفوقانية، تاغيت وسط (المقر الاداري)، بريكة، بربي، بختي والزواية التحتانية، تاغيت هي وليدة التقسيم الاداري لسنة 1971 م، كما تعتبر جوهرة الصحراء بجمالها وتنوع طبيعتها من كثبان رملية للعرق الغربي الكبير على ارتفاع 745 م، تتكئ عليها المدينة من جهة ومن جهة اخرى امتدادات الصحراء الصخرية (الحمادة)[1].(ينظر الصورة الجوية رقم 01).

الصورة الجوية رقم 01 : تمثل موقع قصر تاغيت

[1]– أرشيف بلدية تاغيت .

3. التضاريس :

تنوعت تضاريس منطقة تاغيت بكثبان رملية للعرق الغربي الكبير من الناحية الشرقية على ارتفاع 745م وسلسلة جبلية المتمثلة في الحمادة، التي تتميز بارتفاعاتها القليلة وانحدارها الشديد بينهما منعطفات واد زوزفانة وعلى طول 18كم تقريبا، على ضفتي الوادي واحات النخيل مختلفة الأنواع بمقدر 300 هكتار قابلة لتوسع حوالي مائة ألف نخلة وهذا ما يدل على الطابع الفلاحي لسكان تاغيت.

4. الموارد المائية :

تاغيت جوهرة الصحراء في منعطفات واد زوزفانة، الذي يمثل عصب الحياة الرئيسي لكافة القصور المحيطة به، اذ يستمر وجود الإنسان و الحيوان و النبات بهذه المنطقة، كما أنه يمر بتاغيت طولاً من الجهة الغربية، وفي المدة الأخيرة جريان هذا الوادي أضحى نادرًا[2]. (أنظر الصورة رقم 10).

5. المناخ:

إن الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة تاغيت يلعب دورا هاما في تحديد العوامل المناخية بالمنطقة، إذ يمتاز مناخها والتي هي جزء من منطقة الساورة بالمناخ الصحراوي الجاف، الذي يمتاز بالبرودة الشديدة في الشتاء والحرارة المرتفعة في الصيف.

الحرارة :

تصل درجة الحرارة بمدينة تاغيت في فصل الشتاء إلى أقل من 10° وفي فصل الصيف إلى أكثر من 50° أي بمعدل 24.6°[3]، حسب الرسم البياني التالي:

---

[2] – أرشيف بلدية تاغيت

[3] – محطة الأرصاد الجوية، ولاية بشار.

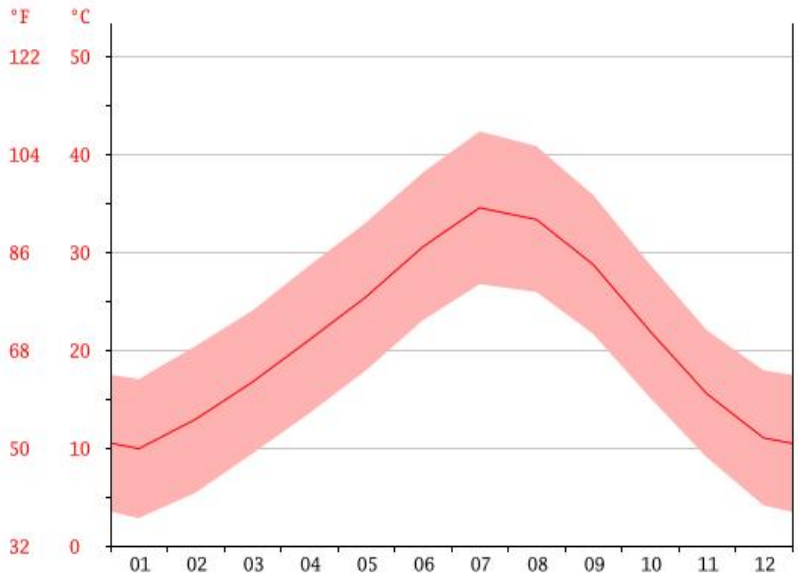

الرسم البياني لدرجات الحرارة

الأمطار :

تعرف المنطقة تساقط للأمطار خلال فترات مختلفة بمعدل 88مم سنويا، حسب الرسم البياني التالي:

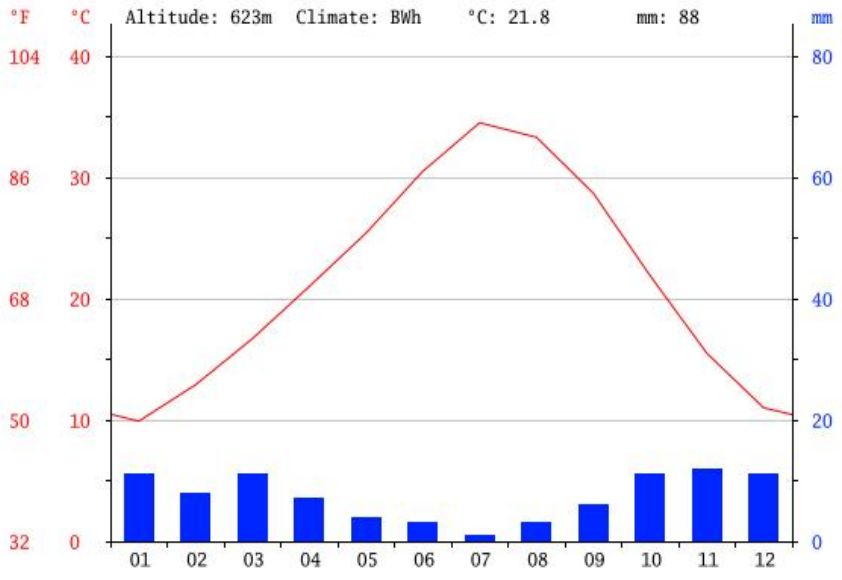

الرسم البياني لتساقط الأمطار

الرياح :

تعرف المنطقة هبوب رياح موسمية وفق نظام شمال شرق و جنوب غرب، حيث يكون هبوبها ساخن ونشيط مما يخلف زوابع رملية[4].

وتعرف منطقة تاغيت زوبعة رملية تعرف بزوبعة سبعة أيام التي تدوم سبعة أيام بالتحديد، فثوران الرمال في جميع الأجواء يحمي أنثى الغزال من الصيادين، كما تحمل هذه الرياح "حبوب طلع" النخيل وهو ما يعرف عند أهل الصحراء بـ "الدكار" من النخلة الذكر إلى النخلة الأنثى حتى تلقحها وتُثمر تمرا وبلحا.

6.لمحة تاريخية عن تاغيت:

يوجد غموض كبير في الجانب التاريخي لمنطقة تاغيت، وذلك باعتبار أن المنطقة صحراوية، كما أنه لا يمكن الفصل بين الروايات الشفوية والحقائق التاريخية والعادات الشعبية المعتمدة عليها في إعادة تركيب الأحداث.

إن أصل تسمية تاغيت مختلف فيه، حيث أن المصادر العربية لم تتطرق لمعنى كلمة تاغيت أو حتى لفظ تاغيت، لذلك نجد ثلاث روايات مختلفة في تفسير لفظ تاغيت مدونة في الفترة الاستعمارية دون ذكر سبب التسمية:

أولا: كلمة "تاغيت" تعني "أغيل" وهو الذراع.

ثانيا: "تاغيت" مشتقة من كلمة "غيث".

ثالثا: كلمة تعني "الحجرة" باللغة البربرية[5].

هناك شهادات كثيرة تدل على بعض الإشارات التاريخية التي تخص المنطقة والآثار المتناثرة على واحة زوزفانة، فالقصور الموجودة بتاغيت سكنت من طرف سكان أوائل غير معروفي النسب مع اليهود، ولا تزال العديد من القصور تحمل أسماء بدائية قديمة، بعضها تحمل أسماء سكانها مثل: "قصور بن شداد" و "سيدي يوسف" في الزاوية الفوقانية، و "قصر بارون" أو "قارون" أو "هارون" أو "زكان" و "ثنية الرمل" في تاغيت، وقصور "أوارون" و "تكاون" و "مزاورو" بين بختي والزاوية التحتانية، كما أن بعض القصور كانت مأهولة من طرف اليهود، خاصة في شمال وجنوب منطقة بختي مثل قصر "تماريد" وقصر "ديرسمون" أو "شمرون" في هضبة "سموال" [6]، و في القرن الثامن هجري كانت المنطقة تسمى ب "بني قوم" وحولت التسمية فيما بعد إلى "بني قومي"[7].

---

4 – محطة الأرصاد الجوية، ولاية بشار.

5 - Duvollet . (R) : Villages d'algérien et oasis du sahara .tome07.1987.p12.

6 –Passager . (P) et Babbançon. (S) : Taghit – sahara oranais .etude historik.géographique et médicale .Institut pasteur d'Alger.T34.n° 3 1956. p 405.

7–Passager . (P) et Babbançon. (S) : Op. Cit, P 405.

وقد أقبل على المنطقة الشيخ "سيدي بايزيد"، هذا الرجل الصالح الذي أتى من أقاليم بغداد العراقية ناشرا الدين الإسلامي وتعاليمه، فاستطاع أن يدخل الكثير من يهود المنطقة إلى الإسلام، توفي هذا الأخير بالمنطقة ولم يفصل في طبيعة موته، وأقيمت له قبّة في شكل ضريح بين قصر بربي وقصر بختي غير بعيد من عين الماء التي تحمل اسمه، حيث أن أولى العمليات التي قام بها هذا الرجل هو ترحيل قبائل بني قومي من المناطق التي أقاموا بها، باعتبار أن هذه المناطق تشكل خطرا عليهم بسبب الهجمات المتكررة للأعداء، إضافة إلى وقوعها بالضفة الغربية، والبحث عن موقع دفاعي واستراتيجي، ويرجح أن هذا با يزيد هو مؤسس القصر[8].

وينسبه آخرون إلى قبيلة بني قومي، ففي القرن الرابع عشر ميلادي لجأت هذه القبيلة على غرار كل سكان الصحراء أثناء الصراعات إلى طلب الإعانة من قبيلة ذوي منيع، هذه الوضعية جعلت رجالا من قبيلة حاميان الآتين من الجنوب الغربي عن طريق وادي زوزفانة يستولون على أراضي بني قومي، وطردت هذه الأخيرة بدورها من القصر في القرن السابع عشر الميلادي من طرف قبيلة دوي منيع، وبعد اغتيال أحد أعين الأهالي للمدينة في القرن الثامن عشر ميلادي استطاع البربر الآتيين من مدينة تافيلالت طرد ذوي منيع واحتلال القصور لمدة خمسين سنة بالتقريب، حوالي نهاية القرن الثامن عشر، ثم استطاعت هذه الأخيرة السيطرة على المنطقة من جديد[9]، أما الرأي الأخر فيرى بأن قصر تاغيت ينسب بناؤه إلى الرجل الصالح سيدي أحمد أرابح، والبعض الآخر إلى أحفاد سيدي سليمان، وهم أولاد عمارة بن موسى ولد علي أحفاده.

وصل الاستعمار الفرنسي إلى منطقة زوزفانة في جانفي- فيفري 1897م وعلى رأسها "Gordon" ، ودخلتها لأول مرة قبل احتلال بشار، حيث يرجع سبب ذلك التأخر إلى مقاومات قوية في الجنوب الوهراني، منها مقاومات أولاد سيد الشيخ سنة (1864م-1881م)، والتي تعد من أشد المقاومات وأعنفها، إضافة إلى مقاومة الشيخ بوعمامة سنة (1881م – 1908م)، مما أدى إلى تأخر احتلال تاغيت، وفي بداية القرن العشرين أثناء وجود الاستعمار الفرنسي حوالي 1900م قرر المعمرون إنجاز طريق تؤدي إلى تاغيت، من أجل الوقوف ضد القبائل التي كانت تهدد بالمقاومة، ونتيجة لذلك شيّد المستعمر حصن في الناحية الشرقية للقصر تحت قيادة الرائد "برناد صان"، كما تم إنشاء إدارة ملحقة بتاغيت سنة 1901م، وفي سنة 1903م استعمرت الواحة كليا من طرف القوات الفرنسية، حيث أصبحت تاغيت خاضعة لحكمها[10].

لقد خضعت المنطقة لعدة رحلات استكشافية في الفترة الاستعمارية، أهمها رحلة المستكشفين الألماني "رولفز" عام 1864م، ورحلة الفرنسي "كاميل دولس" عام 1888-1889م، ورحلة العقيد "جوردن" عام 1897م[11]، كل هذه الرحلات كانت تهدف إلى خدمة أطماع الاحتلال الفرنسي أكثر من أنها دراسة علمية.

---

[8] -.Gautier(E-F) : Sahara algérien .tom01.paris1908.p163-164 .

[9] – Livir (R) : Les Fort sahariens des territoire du sud, Gauthier, Librairie Paris, 1990, p 141.

[10] - Pinon(R): L'émpire de la méditerranée ,paris1912 ,pp 207-208

[11]- Livir (R) : Op.cit, p 141.

إن تاريخ القصر لازال يكتنفه الغموض بالرغم من وجود النصوص التاريخية، فالراويات الشفوية تقول أن القصر عمره يزيد عن ثمانية (08) قرون، كما أن هذه النصوص التاريخية التي تطرقت إلى قبيلة بني قومي لم تتطرق إلى قصر تاغيت، بل تطرقت الصراعات التي كانت بالمنطقة وإلى قصورها دون توضيح الجانب التاريخي والمعماري لهذه القصور، ومما سبق ذكره يتضح أن منطقة تاغيت كانت أهلة بالسكان قبل مجيء قبيلة بني قومي للمنطقة، وفي ظل غياب المصادر التاريخية والمخطوطات يبقى تاريخ القصر غامض إلى غاية العثور على وثائق تاريخية تثبت التاريخ الحقيقي للقصر والمنطقة مستقبلا.

7.تعريف القصر :

القصر في اللغة : هو المنزل وقيل كل بيت من حجر قرشية، تسمى بذلك لأنه فيه الحرم، وجمعه قصور[12]، أما في التنزيل الحكيم قوله تعالى (**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**)[13]، فقد ورد ذكر كلمة القصر في عدة آيات من القرآن الكريم وهي تعني ما شيّد من المنازل وعلا، بصيغة أخرى كل بناية فخمة واسعة .

وأما القصر في المناطق الصحراوية والأطلس الصحراوي فيقصد بيه تلك التكتلات السكنية المتضامة فيما بينهما مشكلة بذلك مدينة أو قرية، تشتغل أحيانا مساحات كبيرة، وساحاتها تتوفر على مخازن ومتاجر للقبائل الرحل التي تحفظ فيها الحبوب[14].

كما أن كلمة قصر تعني المكان المأهول على هضبات مرتفعة من سطح الأرض وبه مجموعة من المساكن والمنازل موحدة الشكل واللون، محاطة بسور مزدوج ومرتفع تتخلله أبواب فوقها بروج مستديرة على جانبي مدخل القصر[15].

ومن مميزات قصر تاغيت تحكمت فيه عوامل مختلفة في تأسيسه وتخطيطه، كما أنه مطابق لشروط بناء المدينة، كالموقع الاستراتجي أو الموقع المفضل ذو المناخ الحسن من اعتدال المكان وجودة الهواء وسعة الماء والقرب من المرعى والاحتطاب وتوفر الغذاء .

وقال الحكماء أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء وهي << النهر الجاري، المحراث الطيب، المحطب القريب، السور الحصين، والسلطان إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبابرتها ... >>[16]

وكما أشار ابن خلدون إلى أنه << ... وجب أن يراعى ... دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها، فأما الحماية من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في ممتنع الأماكن إما على هضبة متوعرة من الجبل ... حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو، ويتضاعف امتناعها وحصنها ومما يراعي في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكدا خبيثا، أومجاورا للمياه

---

[12] ابن منظور جمال الدين : لسان العرب ، ج 4 ، ج6 ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت 1993، ص 186 .

[13] القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، الآية 74 .

[14] -Marouf (N) :Elément d'analyse des ksour , espèces maghrébin pratiques et en jeux , acte du colloque de taglut 23-26 novembre 1987 , E.N.A.G. édition , Algérie ,1989.p 85

[15] عقاب محمد الطيب : مساكن قصر القنادسة الأثرية ، المرجع السابق، ص17.

[16] ابن أبي زرع علي : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، الرباط 1913 ، ص 33.

الفاسدة أو المنافع معفنة أو المروج الخبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها ... والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض في الغالب....>>[17].

فمن خلال هذه الشروط يتضح لنا أن القصر وافق تلك الشروط من نهر جار لم ينفد إلا في السنوات الأخيرة، وبناء القصر في موقع استراتيجي وإشرافه على جميع النواحي لمدى بعيد محاط بسور تتخلله أبراج ، وقربه من المحطب للعيش وعيون تزود أهل القصور وبساتينهم بالماء .

8. تخطيط قصر تاغيت:

نظرا لعدم وجود دراسات حول قصر تاغيت ومعلومات دقيقة حوله خصوصا من خلال الرحالة العرب، فيما يخص وصف القصر وتخطيطه، وتغير بعض معالمه إثر الإضافات والتجديدات التي أدت إلى اندثار بعض معالمه كالسور الرئيسي وأبراج المراقبة، ولذلك فإن المعطيات التي نتحصل عليها قد تكون صحيحة إلى حد ما أو خاطئة، ولذلك وجب علينا الأخذ بالروايات الشفوية رغم افتقادها إلى البراهين العلمية وتناقضها أحيانا، كما تطغى عليها العاطفة حيث تود كل مجموعة نسب نفسها إلى مؤسس القصر، يبقى هذا في غياب الوثائق المادية كالمخطوطات التي تم حرقها في فترات سابقة وسرقة بعضها، وامتلاكها لأشخاص وعدم إظهارها لأغراض علمية.

لقد كان للموقع الجغرافي للقصر بوقعه فوق هضبة صخرية أثر في تحديد نمط تخطيطه العمراني الذي أخذ الشكل غير منتظم، فالمعروف عن المجتمعات السكنية التي كانت تلجأ إلى الأماكن المرتفعة لتسهيل عملية الدفاع والحماية، وهذا شرط من شروط قيام المدينة (الموقع الاستراتيجي)، وبالتالي فإن موقع القصر وتخطيطه خضع إلى شكل الهضبة أما التدرج في المساكن فراجع إلى شكل الهضبة وكذلك النمو الديمغرافي لسكان القصر مما اضطر أهل القصر لبناء الأماكن الفارغة .(ينظر المخطط رقم 01).

---

[17]– ابن خلدون عبد الرحمن : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، الجزء الثاني ، ص ص 617 /620 .

المخطط رقم 01 : المخطط العام لقصر تاغيت (عن البلدية)

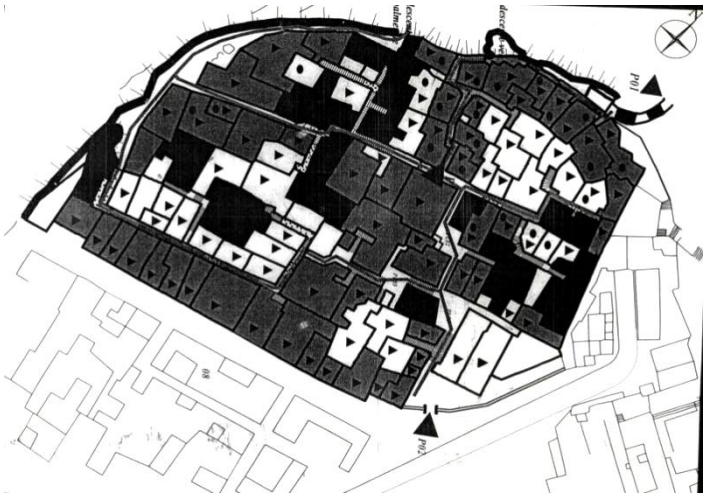

للقصور الصحراوية أنماطا متعددة حسبما قسمه الباحثون من أنماط مختلفة، منها النمط ذو الشكل المستطيل والمربع والمضلع والنمط الدائري اعتمادا على معطيات تاريخية، والشكل العام للقصور وتوزيعها الداخلي، وذلك دون وضع سلم زمني مضبوط وموحد يساعد الدارسين على إرجاع كل نمط إلى فترة زمنية معينة، كما أن تعدد الأنماط كان نتيجة لاختلاف الرؤى بين الدارسين، ففريق يرى اعتماده على التنميط للشكل الخارجي للسور، وفريق آخر يرى أن التخطيط الداخلي للقصر هو في كيفية توزيع الأزقة والدروب بداخله كفيل بتحديد نمطه، أما الفريق الثالث فيعتقد بأن تنميط القصور يعتمد بالدرجة الأولى على وجود القصبة بالقصر من عدمها، في حين ينتقد الطرف الرابع التقسيمات السابقة ويرى أنه علاوة على ما سبق ذكره من نصوص تاريخية والشكل الخارجي للقصر، إضافة إلى الأدلة الأثرية[18]، كما أن الشكل الدائري حسب إيشاليي هو طراز محلي وليد البيئة الموجودة به[19]، ويرى عبد الرحمن أيوب أن النمط الدائري ظهر أواخر القرن 5هـ /11 م ، ومن مزاياه أنه يساعد على حفظ المنتجات الفلاحية بطريقة أفضل، وأنه نمط عربي[20].

وأما مارتان الذي قام بأولى محاولات لتصنيف قصور توات وقورارة وتديكلت فيؤرخ هذا النمط لمابين 100 م إلى 600 م اعتمادا على الشكل العام للقصر والنصوص التاريخية ويتفق معه كونار في هذا النمط كونه يعود إلى فترة وجود اليهود بالمنطقة الصحراوية[21].

ويرى الأستاذ حملاوي أن هذا النمط أقدم من هذه التواريخ المرجحة، فمنها ما يعود إلى فترة ما قبل التاريخ لوجود مجموعة من الصناعات الحجرية العائدة إليها أو لفترة فجر التاريخ، أو العهد الروماني مستدلا بقصور صحراوية كقصر قاعة الصبيان بوادي مزي بالأغواط، وكذا قصور جبال القصور كقصر الشلالة الظهرانية بولاية البيض[22].

9. الوصف العمراني لقصر تاغيت :

---

[18] حملاوي علي: نماذج من قصور منطق الأغواط دراسة تاريخية و أثرية ، م . و . ف. م ، وحدة الرغاية ، الجزائر، 2006 ، ص 46 .

[19] حملاوي علي : مواقع أثرية من الجنوب الشرقي الجزائري (لمنطقتا ورقلة و وادي ريغ) ، مجلة بحوث جامع الجزائر ، العدد 5، 199 ص 70.

[20] أيوب عبد الرحمن : من قصور الجنوب التونسي " القصر القديم " ، النقائش ، المنظمة العربية و الثقافة والعلوم، تونس 1988 م ، ص 134 .

[21] -Martin (A.G.P) : A la frontière du Maroc, les oasis sahariennes(Gourara ,touât , Tidikelt) éd Imprimerie Algérienne , Alger 1908,p 40

[22] حملاوي علي : نماذج ...،المرجع السابق ، ص 61

يقع قصر تاغيت على هضبة مرتفعة تطل على جميع النواحي من الجهة الشمالية للبلدية على بعد 600م، يقع بين خطي العرض 30- 55° شمالا و خطي الطول 2- 01° غربا بارتفاع 620 م عن سطح البحر .(ينظر الصورة الجوية رقم 02).

الصورة الجوية رقم 02 : توضح موقع القصر

يقوم النسيج العمراني للقصر وفق عادات وتقاليد سائدة بالقصر وشروط مستمدة من الحضارة الإسلامية الرامية إلى حماية السكان من الفضوليين، وكذا التماسك ما بين المسلمين، لقوله تعالى: [وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] [23].

لذلك بنيت منازل القصر بشكل متضام لبعضها البعض وكأنها كتلة واحدة، وأخذ الشكل المتدرج وذلك لارتفاع البيت عن الآخر دون المساس بالحرمة، وهي ظاهرة فرضها الموقع الجغرافي للقصر. (ينظر الصورة رقم 03).

الصورة رقم 03: تمثل منظر عام لقصر تاغيت.

[23] القران الكريم : سورة آل عمران ، الآية 103.

للقصر محيطان محيط خارجي ومحيط داخلي :

9.1.المحيط الخارجي :

تحيط بالقصر من الخارج البساتين والحدائق باعتبار المنطقة فلاحية، وكذا تجمعات سكنية، نصل لهذا القصر عبر منفذان، المنفذ الأول والمتمثل في الطريق الرئيسي الذي يوصل إلى مقر البلدية أو مدينة تاغيت الجديدة، قادما من ولاية بشار لندخل إلى القصر عبر المدخل الرئيسي من الجهة الجنوبية الذي يسمى محليا بفم القصر، يحتوي هذا المدخل على مكان للجلوس وتسمى محليا بالجماعة، أما المنفذ الثاني يقع بالجهة الشمالية ليؤدي إلى المدخل الرئيسي الثاني للقصر وهو الباب الشمالي، وهو مدخل بسيط الشكل يخلو من مكان الجلوس الذي يسمى بالجماعة.

هذه الحدائق تحيط بيه من الشمال والغرب والجنوب الغربي بمحاذاة الوادي، ومن الجهة الشرقية والجنوبية يحده تجمعات سكنية، كما تقابله بالجهة الجنوبية الشرقية مقبرة خارج القصر مثلما هو معروف في القصور الصحراوية .

ومصدر مياه القصر هو تلك الآبار التي كانت منازل القصر تحتوي عليها، إضافة إلى بئر موجودة بالجهة الشمالية بالقرب من المدخل الرئيسي.

9.2.المحيط الداخلي :

أحيط القصر بسور غير منتظم، يختلف ارتفاعه من أسفل الهضبة إلى أعلاها مبني بواسطة الطوب وأساساته مبنية بواسطة الحجارة، ويتخذ الشكل شبه دائري في الجهة الشمالية والغربية، ليلتصق في أعلى الهضبة بأظهر المساكن، كما أن سمك الجدار يساعد على تماسك وصلابة الجدران، تخلله مزاغل للمراقبة مدعم بواسطة أبراج ، ولقصر تاغيت مدخلان مدخل جنوبي ومدخل شمالي.

إن تعدد المداخل بالمدن الإسلامية تمكن من فسح المجال للناس حتى لا يتزاحموا أثناء دخولهم وخروجهم كما تسمح لكل فرد استعمال الباب الأقرب منه[24]، وعرفت القصور الصحراوية تعددا في المداخل فمنها ما لديه مدخل واحد كقصر بربي ببلدية تاغيت،

[24] القزويني زكرياء بن محمد : آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، 1960 ص 8.

وقصر استيتن بولاية البيض ثم أضيف له مدخل ثان، أو مدخلان كقصر تاويلة بولاية الاغواط أو قصر الغاسول بولاية البيض أو ثلاثة مداخل كقصر بوسمغون بولاية البيض (تنظر الصورة رقم 04).

الصورة رقم 04: المدخل الرئيسي للقصر بالجهة الجنوبية

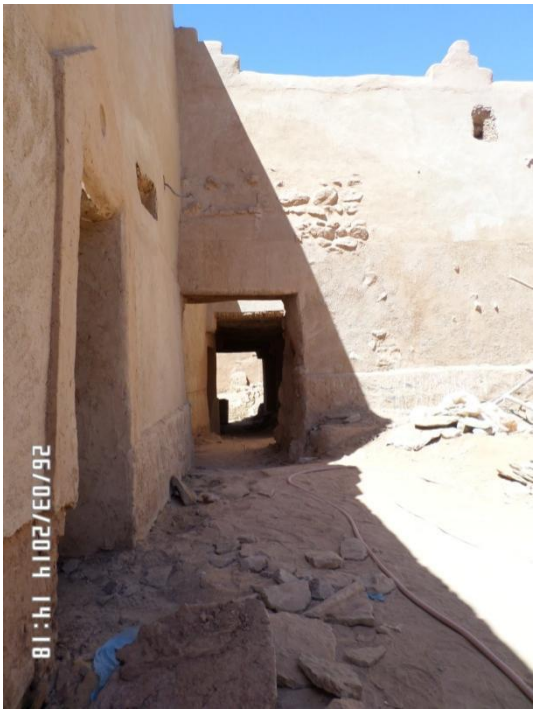

يتكون القصر من الداخل من مجموعة سكنية، موزعة على مساحة القصر وتنقسم هذه المجموعات إلى أربعة أحياء مسماة بأصحابها كالتالي: حي الحنايين، حي بوشليح، حي النواداي، وحي النوادر، لكل حي مساحته الخاصة، فحي الحنايين يقع بالجهة الشرقية مقابل المسجد ، أما حي بوشليح بالجهة الشمالية بالقرب من المسجد شمالا ، وحي نواداي يقع بالجهة الغربية ، وفيما يخص حي النوادر فيقع بالجهة الجنوبية.

كما أن تقسيم الماء كان يتم بتساوي. هذه الأحياء لم تكن منفصلة فيما بينها بسور مثلما هو في بعض القصور الصحراوية، كما يتكون القصر من مسجد جامع ومحضرات[25]، يقع هذا المسجد في وسط القصر، فهو مركز الثقل والنواة الأساسية للقصر تماما حسب التنظيم العمراني للمدن الإسلامية، كما تتوزع عليه المنازل.

ولم يكن لكل حي مصلى خاص به أو محضرة خاصة به بل مسجد جامع واحد ومحضرة لتعليم القرآن للأطفال، ويسمى محليا بالمسجد العتيق، وهذا يدل على مدى روح التآخي والارتباط والتآزر بين سكان القصر رغم اختلاف أصلهم إلا أنهم كالعائلة الواحدة، ويرتبط المسجد بواسطة مسالك وممرات مختلفة التوجه منها المتجهة من الجنوب إلى الشمال، ومن الغرب إلى الشرق، تفتح فيها مداخل البيوت لتفادي أشعة الشمس واستقبال الرياح الشمالية، والاتجاه من الغرب إلى الشرق قليلا ما تفتح فيها مداخل البيوت.

---

[25] المحضرات هي كتاتيب القرآن ، ومفردها كتاب .

وما يميز القصر هو احتواؤه على شوارع مسقفة (أي السوابيط)، فالمسالك هي العنصر الأساسي في تشكيل هيكل القصر، فهي تربط بين النواة الأساسية وبقية هياكل القصر كالمنازل والرحبات، وتنقسم الشوارع إلى شوارع رئيسية وشوارع ثانوية التي تعرف بالدرب أو الأزقة، كما للقصر شوارع غير نافذة، تتميز هذه الشوارع باختلاف شكلها منها ذات الشكل المستقيم ومنها الملتوية والمتعرجة، وهذا راجع الى طبوغرافية الموقع.

فالشوارع الرئيسية هي تلك المسالك الرئيسية للقصر التي تربطه مع المناطق المجاورة له كالبساتين والمقابر، كما يتم الاتصال بالوحدات الرئيسية للقصر كالمداخل والرحبات، والمسجد الذي هو النواة الأساسية للقصر والقلب النابض له، لقد أولي سكان القصر عناية فائقة بالشوارع باعتبارها من الأماكن المشترك بين أفراد المجتمع، ووفق ما أملاه العمران الإسلامي الذي يحث على المحافظة عليه ونظافته وعدم إعاقة المارة به فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم:ً((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ, مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلا الْمَجْلِسَ, فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ, فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ))

وعليه نجد الشارع أو الطريق في القصر متنوعا يأخذ الحجم المناسب لحركة المارة من اتساع وامتداد، كما أن تشييده يتوقف على حركة السير المتوقعة بيه كي لا يختلف الناس فيه، ولذلك جعل الطريق حده سبعة أذرع (3.5 م)[26]، كما يتمركز بهذه الشوارع النشاط التجاري مثل الدكاكين، كما اختلفت مقاسات الشوارع في القصر فمنها ما يمتاز بالضيق إذ يتراوح عرضه من 1.25م إلى 1.9 م.

وتتميز هذه الشوارع بعدم وجود الزوايا القائمة بها وذلك لالتوائها وتعرجها، وهنا لتخفيف حدت أشعة الشمس، واستغلال الظل، وتكسير التيار الهوائي والزوابع الرملية التي غالبا ما تتعرض لها المنطقة، أما الشوارع المتصلة بالمداخل الرئيسية للقصر فلم تبلغ الحد المتفق عليه شرعا بسبعة اذرع أي ما يقدر بـ 3.5 م وأحيانا يصل إلى 4 م، اذ بلغت 1.9م كأقصى حد وهذا راجع الى التغييرات التي طرأت على القصر، وشوارع القصر كلها مرتبطة بالرحبات الموجودة بالقصر وكذلك المسجد، حيث يحتوي القصر على خمسة شوارع رئيسية حسب الأحياء الأربعة، أما الشارع الخامس فيسمى بأخفير يقع بالجهة الجنوبية الغربية ملتصقا مع شارع النوادر وشارع نواداي. (ينظر الصور رقم 05)

---

[26]– ابن الرامي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي : الإعلان بأحكام البنيان ، تحقيق و دراسة فريد بن سليمان ، تقديم عبد العزيز الدولاتلي ، مركز النشر الجامعي 1999 م ، ص 95 .
و قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – (إذا تدارأتم في الشارع فاجعلوه سبعة اذرع)

الصورة رقم 05: نماذج من شارع قصر تاغيت

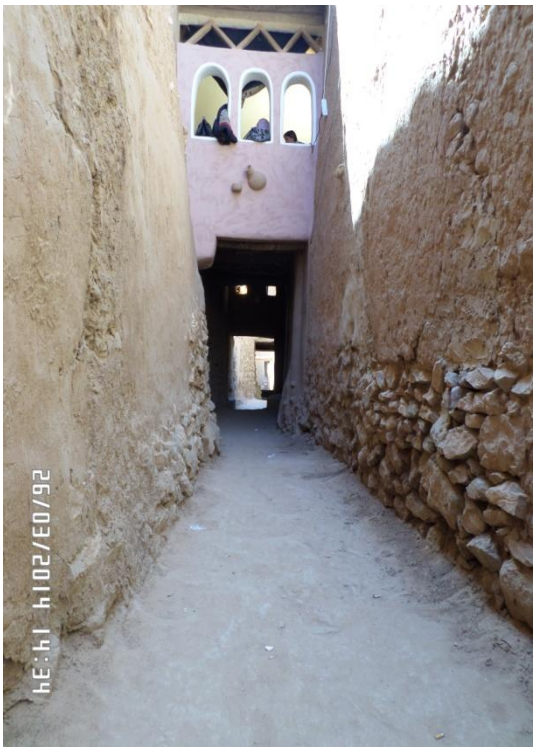

كما تتفرع عن الشوارع الرئيسية شوارع ثانوية تقتصر مهمتها في التنقل من الشوارع الرئيسية إلى الأزقة، ولذلك اتساعها يكون أقل من الشوارع الرئيسية باعتبارها طرق فرعية قليلة النشاط وفيها شوارع غير نافذة يصل عرضها من 1 م إلى 1.2 م، هذه الشوارع منها ما هو متصل بالشوارع الرئيسية أو الرحبات أو المسجد .

كما تمتاز هذه الشوارع بأنواعها على أنها شوارع مسقفة تحتوي على فتحة في سقفها ما يسمى بعين الدار، من أجل إدخال الضوء والهواء، وفي كل شارع نجد مكان مخصص لوضع الإنارة وهي ذات الشكل المثلث، وما يميز بعض الشوارع الرئيسية والثانوية بقصر تاغيت هو وجود شبه مدرج ليصعد أو ينزل الناس منه مثلما هو موجود بالشارع الرئيسي بالجهة الجنوبية بحي النوادر، وذلك بسبب نوعية الصخور الملساء، كما يتم تغطيتها بواسطة الرمال، و يوجد ما يشبه المجرى المائي من أجل تسهيل عملية انسياب المياه المطرية والتقليل من حدت انجرافها بمرورها في مجرى مائي يساعد اندفاع مياه الأمطار خارج القصر إلى الحدائق، وكذا عدم تضرر أساسات المنازل.

لقصر تاغيت ساحات عامة المعروفة بالحبة، والساحات هي تلك الفراغات غير المبنية التي كثيرا ما أخذت اسم الرحبة في المدينة الإسلامية[27]، حيث أصبحت تشكل جزءا هاما من القصر فهي ذات طابع عمراني واجتماعي، كما تعتبر نقطة التقاء الشوارع، وتيسر المرور لاتساعها، وبها تتنفس الأحياء السكنية المتراصة والمتداخلة فيما بينها من خلال الممرات، وهي المجال الملائم للأعمال اليومية والنشاطات الاجتماعية كالأفراح مثلا .

---

[27]– بن يوسف إبراهيم : إشكالية العمران و المشروع الإسلامي ،ط1، مطبعة أبو داوود ، الجزائر 1992 م .ص 85.

لقصر تاغيت ساحات مكشوفة (الرحبة) وعددها ثلاث رحبات مختلفة الموضع، الأولى تقع عند المدخل الرئيسي الأول للقصر بالجهة الجنوبية وتسمى بالجماعة، وتعتبر هي الرحبة الرئيسية له، يبلغ طولها 11م وعرضها 9م، تتخذ الشكل المستطيل، تحتوي هذه الرحبة على مكان خاص بالاجتماعات والجلوس وتسمى بالسقيفة أو الجماعة، وهي عبارة عن رواق مستطيلة الشكل طولها 10 م وعرضها 2.4 م، تحتوي على مكان للجلوس (بتفكانيين)، كان لهذا المكان عدة وظائف مختلفة منها مكان جلوس الغريب عن القصر، وكذا مناقشة أمور القصر كالحرب عند الغزو أو التصدي للهجمات، وكذلك مناقشة أمور الفلاحة[28]، ومناقشة أمور القصر من ترميم أجزائه كالشوارع والسور الرئيسي المحيط بالقصر، كما كانت تقام فيها الأفراح والفلكلور، والسوق الأسبوعية أو اليومية، كما أنها مكان خاص بتجمع الرجال، كما تحتوي هذه الرحبة على ما يسمى بحجرة البارود أين يتم إعداد البارود من أجل الفلكلور أو استعماله كذخيرة أثناء محاربة الاستعمار.

أما الرحبة الثانية فهي تقع بجوار الساحة الرئيسية منها نصل إلى حي النوادر عبر مرورنا بشارع النوادر، هذه الرحبة تسمى محليا بالمقيزرة فهي مساحة مخصصة للجزارين، وكذلك تستعمل أثناء تقسيم اللحم وما يسمى بالوزيعة لذلك أخذت هذه التسمية، كما خصصت هذه الرحبة لنساء فقط ليلا، وفيها فتحت الدكاكين، اتخذت هذه الرحبة الشكل المستطيل طولها 8م وعرضها 6م.

أما الرحبة الثالثة وتسمى محليا بالساحة الدينية حيث تقع بجوار المسجد وهي مخصصة له، وما يميز هذه الرحبات أنها غير مخصصة لعائلات معينة بل لسكان القصر كل منها حسب وظيفتها عكس ما هو موجود ببعض القصور الصحراوية أن الرحبة مخصصة لحي معين، وما يميز قصر تاغيت عن بقية القصور المجاورة هو احتواؤه على سوق أسبوعية و يومية في نفس الوقت، فالسوق عبارة عن مجموعة من الحوانيت موجودة في الرحبة الأولى والثانية و خارج اسوار القصر، كما تشكل الأسواق والمتاجر المحور الأساسي لاقتصاد القصر وذلك لما تقدمه من خدمات للسكان و تمويل أهل القصر بالحاجيات اليومية، ويتم عرض البضائع والسلع، وهذا ما يسمى بالسوق اليومي الذي يحتويها القصر، كما تنوعت المحلات التجارية من محلات لصائغين والحدادين والصناعات التقليدية التي كانت تمارس في المنازل، والمنتوج الذي ينتج من منتجات زراعية وصناعات تقليدية من البرانس والزرابي وغيرها يتم تسويقها بالقصور المجاورة

10.خاتمة :

من خلال هذه الدراسة حول قصر تاغيت مكنتنا من استخلاص عدة نتائج، اذ تبين انه خضع لعدة عوامل مختلفة في التأسيس والتخطيط، كما أنه مطابق لشروط بناء المدينة، الموقع الاستراتيجي أو الموقع المفضل ذو المناخ الحسن من اعتدال المكان وجودة الهواء وسعة الماء والقرب من المرعى والاحتطاب وتوفر الغذاء.

من خلال هذه الشروط يتضح لنا أن القصر وافق تلك الشروط من نهر جار لم ينفد إلا في السنوات الأخيرة، وبناء القصر في موقع استراتيجي مهم وإشرافه على جميع النواحي لمدى بعيد، يحيط به سور تتخلله أبراج، وقربه من المحطب للعيش ويتزود أهل القصر وبساتينه بمياه قريبة من موقعهما ، كما أن للموقع الجغرافي للقصر أثر في تحديد نمط تخطيطه العمراني الذي أخذ الشكل غير منتظم، كما

---

[28]– بناسي أحمد: يوميات أستاذ من سنة 1931 إلى 1954 م ، دار منشورات التبيين الجاحظية ، الجزائر 1996 م، ص 31 .

لجأ سكان قصر تاغيت إلى المكان المرتفع لتسهيل عملية الدفاع والحماية، وهذا يدل أن القصر ذو طابع حربي دفاعي أكثر منه تجاري أو محطة استرخاء للحجاج أو عابري الطريق.

إن موقع قصر تاغيت وتخطيطه خضع إلى شكل الهضبة أما التدرج في المساكن راجع إلى شكل الهضبة وكذلك النمو الديموغرافي لسكان القصر مما اضطر أهل القصر لبناء الأماكن الفارغة، وما تجدر الإشارة إليه أن القصر كان مكان تخزن فيه المنتجات الفلاحية لتموين القصور المجاورة، والمقاومات الشعبية .

إن البيئة الجغرافية فرضت على سكان القصر وحدة التصميم في الشكل العام وانتقاء المواد البنائية وطريقتها، فالقصر من خلال تخطيطه العمراني المتراص والمتلاحم يترجم تلاحم السكان وتآزرهم، فبناء القصر تأقلما مع الطبيعة القاسية لتلبية حاجاته الضرورية،

وفيما يخص المنازل فهي من المكونات الأساسية للقصر، إذ روعي في تصميمها الحرية المطلقة دون الإخلال بالنسيج العمراني للقصر فالمسكن الصحراوية يغلب عليها الطابع المتضام والبيئي، وتتسم بالبساطة في بنائها مع التناسق التام، كما أن تخطيطه يخضع لعدة عوامل من بينها المناخ، وتمتاز هذه المساكن بالبساطة والتناسق فهي تخلو من الزخرفة ومظاهر الترف، كما صممت مسالك وممرات مختلفة التوجه منها المتجهة من الجنوب إلى الشمال، ومن الغرب إلى الشرق، تفتح فيها مداخل البيوت لتفادي أشعة الشمس واستقبال الرياح الشمالية، والاتجاه من الغرب إلى الشرق قليلا ما تفتح فيها مداخل البيوت، أما شوارع القصر فهي تختلف في مقاساتها شرط أن تكون تتلاءم مع حمولة أي شيء يمر بها، كما احتوى القصر على العمارة الدينية المتمثلة في مسجد عتيق ومحضرة بقصر تاغيت، باعتبار المسجد النواة الأساسية ومركز الثقل للقصر، فمن حوله تتبلور التجمعات السكنية، وتنتهي إليه شوارعها وأزقتها، والمسجد لم يكن مكانا للعبادة فقط بل هو بمثابة جامعة تعليمية لتعليم القيم والمبادئ الإسلامية، وتحفيظ القرآن الكريم وبصفة عامة يعبر عن مدى ارتباط الناس بالإسلام وهذا يبين الدور المهم الذي يلعبه المسجد في تكوين الأجيال وإرساء معالم الدين الإسلامي، خصوصا في الفترة الاستعمارية التي برز فيها دور المسجد خاصة والزاوية عامة في زرع روح الجهاد والثورة على المستعمر، وتم إحاطة القصر بسور رئيسي تخلله مزاغل ودعم بأبراج مختلفة التخطيط محكمة البناء، كما زود القصر بمداخل ذات النمط الإسلامي، وهذا لحماية السكان من الهجمات المتكررة عليهم وعلى منتجاتهم الفلاحية .

رغم مرور الزمن إلا أن القصر لازال محتفظا بمعالمه وطابعه الأصيل، وجاء موافقا للمواصفات المعمارية الإسلامية من حيث توزيع الشوارع ومداخل القصر، ومداخل البيوت، وتوفر القصر على الرحبات والمرافق العامة كالدكاكين.